يطير ذا لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه
لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى
حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعدا كما ذكرناه في كتاب
الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد الى الاخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان
ينقل من احد الجانبين فقط وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه
فهو ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بانه ينصره وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج
من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره
وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل لابن عمر رضي الله عنهما انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا
غيره فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان
مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثنا فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو
نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل
لضرورة الجاه والغنا واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق
في القلب كما ينبت الما البقل لانه يحوج الى الامرا والى مراعاتهم ومراياتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن
فهو معذور فان اتقا الشر جائز وقال ابو الدردا انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتبغضهم وقالت
عائشة استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له بئس رجل العشيرة هو فلما دخل عليه اقبل
عليه فراجعته لما خرج فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقا لشره ولكن هذا ورد في الاقبال وفي
الكشر والتبسم فاما الثنا فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرنا في افة
الكذب بل لا يجوز الثنا ولا التصديق وتحريك الراس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك
فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فليسكت بلسانه وينكر بقلبه **الافة** الثامنة المدح وهو
منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها واما المدح فيدخله ست
افات اربعة في المادح واثنان في الممدوح فاما المادح فهو انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد
بن معدان من مدح اماما او واحدا بما ليس فيه على رؤس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة يتعثر بلسانه انه
قد يدخله الريا فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله
فيصير به مرائيا منافقا **الثالثة** انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل الى الاطلاع عليه **روي** ان
رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال ان كان لا بد
احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الافة
تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقولك انه متقي وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه اما

اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله عدل رضي فان ذلك
خفي فلا ينبغي ان يجزم القول فيه الا بعد خبرة باطنة سمع عمر رجلا يثني على رجل فقال اسافرت
معه فقال لا قال اخالطته قال لا قال والله الذي لا اله غيره لا تعرفه **الرابع**
قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب اذا
مدح الفاسق وقال الحسن من دعا للظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم
ولا يمدح فيفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال
الحسن كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال
رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك
يا امير المؤمنين قال ما لي ولك اما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شي
فاحببت ان اطاطي منك الثانية هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب
بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا انطلقت الالسنة بالثنا عليه ظن انه
قد ادرك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم قطعت عنق صاحبك لو سمعه ما افلح وقال صلى الله عليه وسلم
اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال ايضا لمن مدح رجلا عقرت
الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثنا او مدحة الا تصاغرت الى نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس
احد يسمع ثنا عليه او مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع قال ابن المبارك فلقد صدق
كلاهما اما ما ذكر زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكر مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى
رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح الذبح وذلك
لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور او لان المدح يورث الكبر والعجب وهو مهلك
كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الافات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس
بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان
ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثنا يزيد على هذا ولكنه قال
عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح
لما فيه من الكبر والتفاخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر اي لست اقول
هذا تفاخرا كما يقصد الناس بالثنا على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبالقرب من الله لا بولد ادم
وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض
رعاياه وبتفصيل هذه الافات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال
صلى الله عليه وسلم وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني ادم جلسا من الملائكة فاذا ذكر اخاه

Copyright © King Saud University